التربية فى أمريكا





التربية في امريكا

ومقارنتها بالتربية عند الامم الاورية

سلمني قياد التربيـة وأنا كفيل
بأن أغير وجه أوربا قبـل قرن
واحد من الزمان ؟
ليبنتز

ألقاها

احمد فهمي العمروسي بك

مدير البعثة العلمية بفرنسا

وعضو مجلس النواب سابقًا

في محاضرتين على ملأ من رجال التعليم بنقابة المعلمين
في شهر مايو سنة ١٩٢٥

المطبعة العصرية
لصاحبها الياس انطون الياس
تليفون ٥٦٠٣٠

مصر



مولاى صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر

ان ما يشاهد الآن من اهتمام الأمة المصرية بشأن ترقية التربيــة والتعليم لهو أثر من آثار محيي مصر جدكم العظيم ونتيجة لازمة مما أوحت به إرادة جلالتكم أيام إشرافكم على الجامعة المصرية وفي هذا العصر الزاهر عصر جلوسكم على عرش مصر المفدى

فاذا جرى على لسان عبدكم المخلص ذكر وسائل التربية والتعليم في أعظم الممالك حضارة ورقياً فانما هو نفحة من نفحات جلالتكم وخواطر هداني اليها صادق رغبتكم في النهوض بأمتكم المخلصة الى الافق الاعلى من العلم والتهذيب

لذلك رأيت حقاً علي أن أتشرف برفع هــذه الرسالة الصغيرة لسدة مولاي راجياً أن يكون قبوله إياها خير مشجع للعــاملين من رعيته على تحقيق رغائبه في نشر التعليم وتعميمه على أقوم المبادىء وأحدث النظم في هذه الآونة الخطيرة التي يجتازها تاريخ البلاد ؟

عبدكم الخاضع

احمد فهمى العمروسى

المحاضرة الاولى

تمهيد

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف

حضرات السيدات والسادة

أبدأ بتقديم الشكر الجزيل لحضراتكم لتلبيتكم دعوة النقابة وتفضلكم بالحضور لاستماع محاضراتها ففي ذلك دليل ظاهر على عطفكم ومعاونتكم لها على المضي فيما اختطته لنفسها من القيام على حركة التربية والتعليم في البلاد لعلمكم أن ليس للامة ان ترقى حتى تسلك هذا السبيل وان مصر الفتية الناهضة لا بد لها أن تسير الى الامام وأن تحتذي في سيرها مثال الامم الراقية التي لم تصل الى ما وصلت اليه من عظمة ومنعة الا بعد أن بذلت جهوداً وتجشمت صعاباً وذاقت آلاماً تنوء بها الجبال

أما الامم التي لم تمرن طويلا على عراك الدهر ولم تألف مقاومة الصعاب وتذليلها فسريعة العطب والفناء لان عدم استكمال تربيتها في ميدان الجهاد والمقاومة يجعلها عاجزة عن دفع عوادي الايام وطوارىء الحدثان

وما حياة الافراد والامم الا جهاد دائم . لذلك كان حقاً على المدرسة أن تهيىء النابتة لهذه الحياة وأن تعدهم بالاساليب الحكيمة لكي يضعوا قدمهم ثابتة في المعترك ولكي يصبروا ويتجلدوا ويقاوموا حتى يغلبوا ويفوزوا

فكل تربية لا ترمي الى هذه الغاية السامية هي والعدم سواء لانها لا تطابق طبيعة الوجود في شيء وكذلك كل تعليم لا يمد النشء بوسائل الكفاح في ميدان الحياة العملية الحقة انما هو تعليم عقيم لا خير فيه

ان نقابة المعلمين بمثابرتها على القاء المحاضرات وعقد المؤتمرات في شئون التربية انما تؤدي واجباً عليها نحو العلم الذي هي أمينة عليه ورافعة رايته باليمين اذ تفتح للاصلاح العام باباً وتمهد للرقي طريقاً وهي باذن الله ماضية في هذا السبيل بفضل اتحاد أبنائها وبفضل تضامنهم ونشاطهم وغيرتهم على المصلحة العملية تخدمها في غرضها النبيل صحيفتها التي تنم عن حسن سعيهم وتنشر مباحثهم على الناس

و بعد ، فقد كنت يوماً أجيل النظر في الكتب الجديدة باحدى المكتبات العامة فلفتني عنوان ضخم لكتاب « روح التربيـة » وما كان هذا العنوان ليستهويني وحده الى اقتنائه لولا اني أبصرت اسم مؤلفه الكاتب الجهبـذ الدكتور جستاف لبون الذي نوه كما تعلمون بحضارة العرب وشاد بذكرهم في كتابه الذائع الصيت « تاريخ حضارة العرب » والذي ترجم له المرحوم فتحي باشا زغلول كتاب روح الاجتماع

أما السفر الذي نحن بصـدده اليوم فتمتاز الطبعة الاخيرة منه بفصل ممتع في طرق التربية والتعليم في امريكا نقله عن كتاب مسيو بويز ناظر مدرسة شارلروا من أعمال بلجيكا الذي ساح في أمريكا في العام الماضى وشرح طرق التربية والتعليم فيها شرحاً كان له أعظم وقع في نفوس الامم الاوربية جميعاً

والذي يتصفح هـذا الكتاب يتبين منه البون الشاسع بين حضارة أوربا وحضارة امريكا وقبل أن يشرح الدكتور جستاف لبون تلك الطرق انحى باللائمة في الباب الاول من كتابه على تعليم الجامعات في فرنسا لانه مبني كله على استظهار الكتب دون أن يكون للتأمل والتفكير والبحث والتنقيب أثر فيه

أما أساتذة الامريكان فقد نجحوا بأساليبهم الحكيمة في بث

روح الملاحظة في النشء من بدء حياتهم وفي تمية قوة الحكم ودقة التصور وصقل أخلاقهم صقلاً متيناً دون أن يكون للكتب في كل ذلك شأن يذكر . ثم يقول « نعم ان في جامعات فرنسا فئـة من نوابغ الطلاب حرروا عقولهم من قيود التعليم العقيم في تلك الجامعات وكونوا أنفسهم بأنفسهم و بفضـل جهودهم وحدهم بقيت فرنسا الى اليوم متبوئة مكانة علمية بين الامم ولكن السواد الاعظم من الطلاب لا يزالون يرسفون في السلاسل والاغلال التى قيدتهم بهـا الجامعة وسيظلون حياتهم متمسكين بتعاليم أساتذتهم القديمة عاجزين كل العجز عن الخروج عليهـا أو الانحراف عنها مع أنهم هم الذين تقوم عليهم حضارة الامة وكان أول واجب على الجامعات أن توجه كل عنايتها الى توسيع معلوماتهم وترقيـة مداركهم لانهم عصب الامة وملاك حضارتها فـكيف ترقى فرنسا اذا ظلت تلك الطبقة الوسطى منها في أسر الجامعة لا تجد من يفك عنها الاغلال و ينير لها السبيل

ولقد بلغ من تفشي تلك الطرق العقيمة في التربية والتعليم في فرنسا أن مدرسة من أرقى مدارسها وهي مدرسة الهندسة (سنترال) التي كان ينبغي أن تكون أبعـد المدارس عن الحفظ والتسميع يقنع طلابها من التعليم باستظهار العلوم كلها حتى الرياضيات منها ولكنها لا تلبث أن تزول من عقولهم اذا فرغوا من الامتحان لانها لم تصل الى أذهانهم الا من طريق الحافظة . . .

وهذا المسيو بلتان الذي تربى في هـذه المدرسة وهو الان يشغل وظيفة مفتش بمصلحة المعادن يقول لنا : « ان التعليم الذي لا وجهة له الا أداء الامتحان يفقد كل ميزة علمية ولا ينمي الا قوة الحافظة ولما كان طالب الهندسة في بلادنا لا عمل له الا أن يحفظ دروسه من الكتب دون أن يكلف عملا شخصياً يستلزم البحث والتنقيب والابتكار فليس هناك اذن مقياس صحيح نعتمد عليه في تقدير قيمته العلمية »

ولهذا نرى المتفوقين في الامتحانات غالبًا هم أمضى الطلبة حفظًا وأوعاهم ذكراً وان كانوا أضعفهم تصوراً وذكاء ومنهم تختار الحكومة موظفيها لسبقهم في حلبة الامتحانات وعلى ذلك فالحكومة في اختيارها الرجال لوظائفها لا تعتمـد على صفوة أبنائهـا من حيث مواهب الفطنة والذكاء

ولقـد وقع في السنوات الاخيرة حادث ببلاد الهنـد أثبت للانجليز خطأهم في التعويل على الامتحانات . ذلك ان الجرائد الوطنية تذمرت من طريقة تعيـين الموظفين للخدمة الادارية العليـا (*Civil Service*) واقترحت أن يكون انتخابهم بالامتحان فقبل الانجليز هـذا الرأي فكانت النتيجة ان فاز الجمهور من أهالي البنغال على الاوربيين في الامتحانات نظراً لما اشتهروا به من قوة الحافظـة

وسرعة الاستظهار غير أنهم ما لبثوا حين تولوا الحكم ان تجلى فيهم نقص كبير في الاخلاق وسوء تصرف في الادارة العامة كادا يقودان الهند الى الخراب لولا أن الانجليز بادروا بالعدول عن هذه الطريقة الى أسلوب آخر يحرم الهبو الاستفادة من هذه الميزة الطبيعية بعد ان ثبت لهم ان الامتحانات عاجزة عن كشف المخبوء من أخلاق الممتحنين وذكائهم وان استظهار الكتب وحده لا يؤدي الى سداد الرأي و بعد النظر في الامور ولا يطبع في النفوس عاطفة العدل والانصاف

والحقيقة الناصعة ان الوظائف الادارية الكبرى لا تتطلب نبوغاً كبيراً في العلم ولكنها تتطلب أولاً وقبل كل شيء أخلاقاً متينة كالعدل والقدرة على ضبط النفس في جميع المواطن

يقول جستاف لبون انه حدث له في أثناء زيارته للهند ان تعرف بموظف انجليزي كبير كان كثيراً ما يخرج وحده ليلاً الى الغابات الشاسعة لاصطياد النمور فسأله عن سبب ذلك فقال له انه كثيراً ما يشعر بضعف في عزيمته وعجز عن مقاومة نفسه والتغلب عليها فلم يجد علاجاً يعودها الصبر والاناة ورباطة الجأش في أدق المواطن وأحرج المراكز خيراً من أن يقضي الساعات بل الليالي يرتقب مرور النمر ليقتله عالماً تمام العلم انه اذا أخطأ المرمى ولم يصبه في مقتله مدة ثلاث الثواني التي يمر فيها فهو هالك لا محالة

والتاريخ شاهد عدل على ان الامم العظيمة لم تقم الا بالاخلاق القوية وصفات الرجولة الحقة كالتنبه والتفكر والرأي والابتكار والنظام والتضامن والثبات والارادة تلك هي الصفات الخلقية التي يجب على المربين أن ينشوها في النشء وينموها على الدوام ولن يصلوا الى هذه الغاية الا أن يكثروا من وضع التلاميذ في المواطن والظروف التي تحتم عليهم أعمال الفكر والروية قبل الاقدام على اتخاذ قرار حاسم في موضوع من الموضوعات وأن يجبروهم بعد أن صحت عزيمتهم على التنفيذ أن يمضوا فيه الى النهاية

عزم الشاعر الانكليزي « وردسورث » "*Wordsworth*" مرة على تسلق جبل للتنزه والرياضة وبينما هو يصعد اذ هبت عاصفة شديدة فاستمر في الصعود على الرغم من قصف الريح وهو يحادث نفسه بقوله : « ان العدول عن مشروع قام في سبيله خطر صغير هو خطر على الاخلاق كبير » فالمثابرة والارادة هما من أقوم الاخلاق التي تمتاز بها أفراد الامم الراقية

نعود الى الكلام على العلم المدون في الكتب ***Science livresque*** ذلك العلم الذي ينعاه الدكتور جوستاف لبون على الجامعة . يتساءل ما العمل لتلافي ذلك الخطر الداهم ونحن من ثلاثين عاماً نرى الناس تضج من عيوب هذا التعليم وآثاره السيئة في البلاد وهؤلاء رجال

الجامعة هم أسبق من يعترف بهذه الحقيقة المؤلمة ولكنهم كلما أرادوا مداواة العلة لا يتوجهون الا الى المناهج وتنقيحها والحال أن الداء الوبيل كامن في طرق التعليم لا في مناهجه

يقول مسيو ليان وهو من اكبر مديري الجامعة أمام لجنة التحقيق البرلمانية « ان التعليم عندنا في جميع أنواعه قد هوى الى قرار سحيق ليس بعده قرار ولا أدل على ذلك من الخدمات الجليلة التي قام بها خريجو جامعات المانيا للصناعة وعجز خريجو جامعاتنا عن مجاراتهم فيها

فالمانيا تخرج كل عام عدداً عظيماً من العمال المتنورين الماهرين الذين تحتاج اليهم أوربا وأمريكا في مصانعهما ومعاملهما

وبينما العلوم والصناعات تنمو على اطراد في المانيا اذا بها عندنا في تدهور يزداد يوماً بعد يوم ومرجع هذا التقهقر في اعتقادي هو أن طرق التربية والتعليم في فرنسا نقلها اليسوعيون عن بلاد الصين ونبتت في مدرسة «لويزلوجران» القديمة التي أسسها هؤلاء القساوسة العائدون الى فرنسا من بلاد الشرق الاقصى ومنها انتشرت في البلاد كلها ولا تزال هذه الطرق متأصلة الى اليوم في نفوس المعلمين مالكة عليهم مشاعرهم جميعاً »

فالعلة اذن انما هي في وسائل التربية وطرق التعليم لا في

المناهج نفسها بدليل أن المناهج واحدة أو تكاد تكون واحدة في المانيا وفرنسا ولكن شتان ما بين النتيجتين فالعبرة بالمدرس الكف، لا بالمنهاج الجذاب الخلاب

وعادة السيف ان يزهى بجوهره
وليس يعمل الا في يدي بطل

ان الالمان أمة فطنت من زمن بعيد الى فكرة هي العقدة الحيوية في التربية والتعليم ألا وهي حمل مدرسي الكليات على أن يتهمموا كل الاهتمام بالطلاب وعلى أن يبذلوا ما في وسعهم لتشويقهم الى العلم . والسبب في ذلك ان الطلبة هم الذين يقومون بدفع رواتب الاساتذة ولما كان لكل علم من العلوم عدد كبير من المدرسين الاحرار فان الطالب يتجه طبعاً نحو الاستاذ الذي يجيد التدريس ويتقن طرقه لذلك نرى المدرسين يتنافسون في العناية بتثقيف الطلبة وفي اجتذاب اكبر عدد ممكن منهم الى دروسهم ليتسع لهم سبيل الرزق فتراهم يعمدون تارة الى الابتكار في طرق التدريس وتارة في نشر أبحاثهم العلمية القيمة علماً منهم بأن هذه هي الطريقة الفذة التي توصلهم الى نيل المناصب العالية والوظائف الدارة أما مدرس الكلية في فرنسا فموظف حكومي يتقاضى راتباً ثابتاً وليس له أقل مصلحة في أن يستهوي عقول طلبته وأن يشوقهم

الى العلم ويحببه اليهم ولو أنه كان يتقاضى راتبه منهم لاضطر الى تغيير طرقه في التعليم والا سقط في ميدان المسابقة وحل محله من هو أصلح منه وبفضل هذه المنافسة الحرة في التدريس أصبحت الجامعات في المانيا وقد توافر لديها هيئة محترمة من كبار العلماء والمدرسين لا نظير لها في العالم المتمدن

لذلك يقول جستاف لبون

« اننا اذا أردنا أن ننهض من الهوة التي وقعنا فيها فعلينا أن نقلد الالمان وعلينا أن نبدأ بالسير في الطريق الذي سلكوه ووصلوا فيه الى النهاية

ولقد فكر الالمان طويلا في الكلمة الحكيمة التي فاه بها (لينبز)

Donnez-moi l'Education et je changerai la face de l'Europe avant un siècle

ومعناها « سلمني قياد التربية وأنا كفيل بتغيير وجه أوربا قبل قرن واحد من الزمان »

ننتقل بعد هذا التمهيد الى الموضوع الاصلي وهو التربية في أمريكا

التربية والتعليم في امريكا

يقول الدكتورجوستاف لبون ان للمقارنة دخلا كبيراً في تكوين عقولنا وتحصيل معارفنا ويجدر بنا لكي ندرك كنه أسباب انحطاط التعليم في الجامعات عندنا أن تقرنه بالتربية في أرقى بلاد العالم تربية وأشدهم عناية بأمرها ألا وهي امريكا

ان المجلات التي تتصدى لشئون التربية في الممالك المتحدة كثيرة ولكنها لا تجدينا نفعاً كبيراً لأنها مدبجة بيراع رجال الجامعات أنفسهم ولهم فيها اعتباراتهم الخاصة ووجهة نظرهم الخاص لذلك كان لنشر السفر البديع الذي وضعه حديثاً « مسيو بويز » ناظر مدرسة شارلروا في طرق التربية الامريكية رنة وضجة بلغت عنان السماء في فرنسا وأعجبوا ايما اعجاب بما علموه من نظريات الامريكيين في التربية وقالوا ان مثل تلك التربية خليقة أن تخلق إنساناً ارقى من إنساننا .

وهاك ما خطته يراعة عالم من اكبر علماء فرنسا «مسيو لوشاتلييه» قرأ هذا الكتاب فعرف للامريكان في تربيتهم المزايا الاتية :—

قال : أن أول عاطفة تملك على الانسان نفسه عند قراءة كتاب مسيو بويز عاطفة اغتباط بحضارة أرقى حقاً من حضارتنا : اعتقاد

شامل وايمان ثابت بحسنات التربية وفضلها ، حرية تامة تتمتع بها المدارس على اختلاف انواعها وتبيح لها أن ترقى رقيًا متناسبًا وان تجري من التجارب العلميــة ما تشاء بالغة النفقات ما بلغت ، اجلال المدرسة اجلالاً يقصيها عن السياسة ويحصنها من المعارك السياسية على شدتها وحدتهــا عند الامريكيين ، فلسفة عميقة في التربية تملأ الفرد حياة ونشاطًا – في كل ذلك دلالة على رقي عقل وتهذيب فكر قل أن يكونا لغير تلك البلاد

وها كم صحيفة بديعة من ذلك الـكتاب النفيس جمعت أمهات مسائل التربية والتعليم :

ينثر المدرس بدقة ومهارة الصعاب أمام التلاميذ مرتبة مدرجة ليواجهوها فينظروا فيحكموا فيظفروا ويفوزوا ، العمل الجسماني يسبق العمل الفكري دائمًا أو يقارنه حتى ان أبعد العلوم عن الحس عندنا واكثرها جريًا وراء التصور والخيال تقدم اليهم في اشكال محسة تقع عليها أنظارهم وتلمسها أيديهم فيتعاون على سرعة ادخالها في اذهانهم مهارة اليد ودقة الفكر

فعلم الجغرافيا أعمال يدوية محضة ودروس اللغة والانشاء تعلم في المعامل لشدة ارتباطها بالرسم والحفر والصب اذ من الرسوم والصور والمجسمات تنتزع الافكار وأساليب التعبير

الحركة في أرق صورها والاشغال اليدوية التي تحترف بها جميع المدارس على السواء وتدين بقيمتها التهذيبية هما أحسن درس وخير تمرين للنفس على الصبر والثبات والارادة

التعليم كله في كلمة : يعمل الجسم مع العقل جنباً لجنب دائماً : والتعليم الثانوي الذي هو حلقة الاتصـال بين طور الطفولة وطور الشباب يسير على هذا النمط بعينه — قرن العلم بالعمل — *Instruction par l'action* مع التوسع في ذلك كلما ارتقت مدارك التلاميذ فتزداد المسائل المطلوب منهم حلها صعوبة كما يزداد الغرض المطلوب الوصول اليه بعداً والعقبات عراقة وكآدة

تحرير العقل والعاطفة من كل وصية ورقابة . انتقاص سيطرة الاساتذة تدريجاً مقابل نصيب صالح من التبعة والمسئولية يلقى على عاتق الشبان والشابات تدريجاً كذلك ، ذلك هو الغرض الاسمى الذي ترمي اليه التربية

يحمل التلاميذ على العمل بحرية تامة كأنهم وحدهم في الدنيا بلا رقيب ويحبب اليهم السرور يأتي من طريق الجهد والعناء والفرح ينشأ من عراك الصعوبات ومكابدة العقبات . ويدربون على ضبط النفس والاقتدار على زجرها وقمعها "Self control"

كل أولئك هو مهمة المدرسة العظمى ووظيفتها الـكبرى فـلا الحقائق ولا النظريات تلقى شفهياً على التلاميذ لان الامريكيين ينفرون النفور كله من النظريات المهيأة المجهزة ومن التعريفات والتصورات الا اذا خلقها العمل وانتجتها التجارب

لم يبق في المدارس كلها من اثر لتلك الطرق التي ترى الفائدة كلها في تلقين العلوم عن طريق الشرح والـكلام دون ان يترجمها التلاميذ بالافعال والاعمال و يرى المدرسون ان التعليم على العموم والعلمي منه على الخصوص لا يمكن ان يكون تعليما منتجا مفيداً اذا لم يمرن التلاميذ على كشف الحقائق وحل المسائل العلمية بانفسهم وتلك طريقة الاستكشاف من جديد *Rediscovery* المتبعة في المعامل والمصانع دائماً ولم يبق للدروس النظرية التي تعطى في الفصول بطريقة الالقاء قبل بدء الدروس العملية التطبيقية أو معها أو بعدها أهمية تذكر . أما المذكرات التي يكتبها التلاميذ بانفسهم في أثناء الدراسة العملية بالمعامل والمصانع التي يصفون فيها مشاهداتهم وتجاريبهم الخاصة فانها قطب الرحى وأسـاس التعليم والمقياس الصحيح الذي يسبر به غور التدريس لانها هي وحدها التي تدل دلالة صحيحة على كفاية التلاميذ ومبلغ استعدادهم واقتدارهم على تلمس اسرار النظريات واستنباط قوانينها من ملاحظة الادوات والاجهزة

ولا يعير الاساتذة أهمية ما لتلك المذكرات التي يلتقطها التلاميذ من اقوالهم في أثناء الدراسة النظرية والتي لها الصيت الذائع والقدح المعلى في جميع المدارس الاوربية

وفي مدارس التعليم العالي يستمر الفوز للجهد والغلبة للابتكار والاختراع ، والدعامة الكبرى التي يشاد عليها التدريس فيها هي ترك الطلبة يجرون التجارب العلمية بانفسهم دون ان يتجاوز تدخل الاساتذة في شؤونهم حد النصح والارشاد وليس لهم في ذلك من غرض سوى استجلاء الاستعدادات الحقيقية لكل تلميذ وتبين ملكاته وقرائحه وقدرته على العمل والاستنباط

غرس بذور الارادة في أفئدة الاطفال والشبان وانماء حب العمل والمثابرة عليه في قلوبهم من بدء حياتهم والاسراع في نقلهم من طور التبعية الى طور الاستقلال واعدادهم بالطرق العلمية المحكمة لان يتولوا شئونهم بانفسهم والا يعولوا فى امورهم الا على جهودهم "*Self Support*" تلك على ما يظهر أعظم الاماني وارفع الغايات التي تطمح اليها أنظار القائمين بشئون التربية والتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية

تربية العمال

أما تربية العمال في المدارس الصناعية على اختلاف انواعها فانها ترتكز كذلك على طريقة التعليم بالمحسات والتجارب ولكن مع التوسع فيها الى اقصى حد وأبعد مدى حتى ان العامل الامريكي الحالي ليعتبر في نظر الاوربيين القدوة المثلى والمثل الاعلى الذي يطمحون اليه في ترقية عمالهم على مدى الايام لانه في الغالب رجل مستنير العقل مدرب الفكر واسع الحيلة وبخاصة في الحرف والصناعات الراقية

أما عهد العامل في الزمن السالف الذي كان لا يتجاوز علمه حد القوة العضلية والتقاليد القديمة وطرق الاسلاف المتوارثة فقد مضى وانقضى وأصبحت التربية في جميع المدارس الصناعية مبنية على طريقة الاقتصاد في الايدي العاملة وان يستبدل بها شغل الآلات الميكانيكية الحديثة الدقيقة "*Saving Labour*" التي لا تتطلب من قوى العامل الجسمانية قدر ما تتطلبه من قوة فكره ودقة ملاحظته وحضور بديهته في اتخاذ القرارات السريعة لتلافي الطوارىء العارضة ولقد أحدثت سرعة التغيير والتحسين في الآلات الصناعية الحديثة وطرق ادارتها صفات جديدة في العامل الامريكي عقلية أكثر منها

جسمانية وتعمل جميع تلك المدارس على تنمية تلك الصفات في العمال وترسيخها في اذهانهم لتصبح على مدى الايام سجية لهم وغريزة فيهم

وفي تلك المدارس تبنى الدراسة النظرية على المشاهدات والمحسات كما في مدارس التعليم العام وتستند الدروس الشفهية الى التمرينات التجريبية والاعمال اليدوية التي من شأنها ان تضيف الى المعلومات الاساسية في مختلف الحرف والصناعات قوة المراقبة وتنبه الذهن ومهارة اليد وحذق الصنعة

وليس للاخصاء أثر ما في تلك المدارس لانها تحاول ان تربي العمال تربية صناعية عامة توسع بها مداركهم وتمي فيهم حاسة التنفيذ من جهة ومن جهة أخرى تجنبهم خمود الذهن وضيق الصدر وملل النفس ، تلك التي تستولى عليهم من جراء مزاولة حرفة واحدة وتكرار عمل واحد على وتيرة واحدة كما هي الحال في صناعة الوحدات المتماثلة كالسيارات المتنوعة التي أصبحت المعامل تخرج منها الملايين

واذا قيست الاعمال بنتائجها كان لنا من عظيم مقدرة العمال في امريكا على الانشاء والاختراع والانتاج بمعونة آلات بلغت من الدقة مبلغاً عظيماً اكبر دليل على ان تلك التربية الفنية الامريكية هي انجع انواع التربية واشدها فعلا في النفوس

وليس فيما وراء المحيط الاطلنطي أثر ما لتلك الخرافة التي رسخت في نفوس أهل اوربا واستعصى استئصالها من عقولهم وهي احتقار الاعمال اليدوية وازدراؤها فليس هناك امريكي واحد يعتبرها وصمة مخجلة أو عملا مخلا بالشرف فلا القضاة ولا الاساتذة يعتبرون اسمى منزلة وأرقى عقلا من اخوانهم الاذكياء من عمال المطابع ورؤساء المعامل

اما الموظفون الكتابيون فى مصالح الحكومة فقد عرفوا من زمن بعيد مكانتهم من المجتمع ووطدوا انفسهم على كسب لا يتجاوز ٥٠ أو ٧٥ فرنكا في الاسبوع في حين أن البناء أو النجار أو الحداد أو السباك يبلغ كسبه ١٢٠ فرنكا مع تساوي مدة العمل

ولقد تأصل حب العمل في طباع أهل امريكا وشغفوا بمزاولة الاعمال حتى أن كل امريكي عامل في جوهره وهم يقدرون الرجال باعمالهم وكفايتهم ويزنونهم بما يحدثون وما ينتجون ولا يؤمنون بتلك الفكرة التى يؤمن بها الاوربي ويدين بها من ان الالقاب والشهادات العلمية تنيل حاملها شيئاً من النبل العقلي والشرف الفكري

ملحوظة — والسبب العلمي النفسي (البسيكولوجي) الذي يدعو المربين الامريكيين الى التعلق باهداب العمل ويحبب الاعمال اليدوية

الى تلاميذهم لهذا الحد هو ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين حركة اجزاء الجسم وبين الخليات المخية المحركة (*Cellules Motrices*) التي هي مراكز الارادة العملية . فاذا اقتصر على فهم النظريات وادراكها دون ان يعنى بتنمية القوة العضلية لكل عضو من اعضاء الجسم قويت خليات المخ المدركة وخمدت الخليات المحركة ونشأ عن ذلك وهن العزيمة وضعف الارادة وان وجد الفكر والتصور والذكاء

ولا بد للتربية الصحيحة ان تصرف كل همتها الى تنمية هذه القوى على السواء حتى تخرج رجالا يقرنون العلم بالعمل ويعقبون القول بالتنفيذ وذلك ما تصبو اليه نفوس الامريكيين وتطمح أنظارهم اليه في تربية أبنائهم

تقسيم التعليم

ينقسم التعليم في امريكا الى ادوار أربعة يستغرق كل دور منها اربع سنوات فيكون مجموع ما يقضيه الولد في المدرسة ست عشرة سنة وهي :—

١ — التعليم الاولي من ٦ الى ١٠ سنوات *Primary*

٢ — التعليم الابتدائي من ١٠ الى ١٤ سنة *Grammar Grades*

٣ التعليم الثانوي من ١٤ الى ١٨ سنة *High Schools*

واذا كان التعليم الثانوي فنيـا من ١٤ الى ١٨ سنة ايضاً يسمى *Technical Schools*

٤ — التعليم الفني العالي من ١٨ سنة الى ٢٢ سنة ويسمى *Institute of Technology*

جميع أولاد الامريكيين يمرون بلا استثناء بالدورين الأول والثاني ويزيد الاقبال على التعليم الثانوي يوماً فيوماً حتى بين طبقات العمال غير أن الكثيرين يغادرونه بعد مضي سنتين عندما يبلغون السادسة عشرة من أعمارهم أما للبحث عن وظائف في المحال التجارية والصناعية تقوم بحاجاتهم المعاشية واما للدخول في المدارس الفنية التي تقوم بتأهيلهم لادارة حركة المعامل

أما التعليم الفني العالي فلا يغشاه الا صفوة الشبان وخلاصتهم على أن الكثيرين يشكون من طول مدته لأنه يؤخر موعد دخولهم في معترك الحياة العملية

ولقد عني الامريكيون عناية خاصة بثلاثة الادوار الاولى من أدوار التعليم وقد كانت موضع درسهم وبحثهم مدة طويلة حتى أصبح التعليم يسير فيهـا على نمط واحد وطبق أساليب واحدة في جميع أرجاء المالك المتحدة الامريكية

والدعامة الكبرى التي يشاد عليها صرح التعليم في أدواره الاولى هي تعليم الاشغال اليدوية وغايتهم من تدريب التلاميذ عليها أن يبثوا فيهم روح الابتكار والتنفيذ —أما الابتكار فبواعثه دروس الرسم والهندسة والملاحظة وأما التنفيذ فيكون بابرازهم ما ابتدعته أفكارهم الى حيز الوجود بصنع أيديهم

وفي مدارس نيويورك يتعلم الاطفال صوغ الأشكال من عجينة مرنة لادراك الابعاد الثلاثة وصنع الاشكال الورقية وهي ذات بعدين فقط ، وصنع الاسلاك والخيوط في اشكال مختلفة ممثلة هندسة البعد الواحد

وجل مدارس امريكا تحذو حذو مدارس نيويورك في اختيار موضوعات الرسم والاشغال اليدوية في المدارس الابتدائية اذ يدور حول فكرة أساسية هي لفت التلاميذ الى ما يقع تحت أبصارهم وفي أفق ملاحظاتهم كالمنازل وأشغالها وواجباتها و بواعث السرور فيها ثم يلي ذلك حياة المجتمع وما يتبعها من وسائل النقل ومن مشاغل الناس وملاهيهم ثم يليها الحياة المدرسية فالاجازات السنوية فدراسة المناظر الطبيعية وتلك ما يسمونها بمراكز الرغبة أو الشوق *Interest Centres*

ومن المحتم على المدرس قبل أن يخوض في موضوع من تلك

الموضوعات أن يثير شوق التلاميذ اليه بمناقشة تجتذب أنظارهم وتدفعهم الى الرغبة في البحث عنه فيندفعون الى العمل فرحين مسرورين بما يوحيه الموضوع في نفوسهم من إحساسات قديمة وذكريات سابقة وبذلك يقبلون على تنفيذه اقبال الهائم به كمن يريد تحقيق فكرة شخصية قامت في نفسه ويبرز الى عالم الملموسات فكراً جال في خاطره فاندفاعه يكون بباعث من ارادته وقوة صادقة من عزيمته ولا غرابة فحين يوجد الشوق تنشط الارادة ويصدق العزم ويصح التنفيذ

وعلم الرسم سرعان مايتحول في المدارس الاولية الى فن جميل فيخرج الاطفال الى الحدائق والمتنزهات ليرسموا مايقع تحت أبصارهم من المناظر الطبيعية المختلفة وهذا النوع من الرسم (الرسم من الطبيعة مباشرة) يحبه الامريكيون ويحضون عليه لانه يعلم الاطفال من صغرهم كيف يترجمون مايجول في أفكارهم بالاشكال الجميلة والرسوم الانيقة . ويتعلم الطفل كذلك في المدارس الاولية الرسم بالالوان والفرجون (الفرشة) والماء والريشة وقلم الرصاص كما يتعلم رسم الوجوه البشرية ويحذقها بسرعة لانهم يتخذون من وجوههم أنفسهم نماذج ينقلون عنها

أما الفكرة السائدة في المدارس الاوربية وهي تمرين اليد والعين

فقط في رسم الاشكال الهندسية ونقل النماذج الصناعية فلا يقبلها الامريكيون في مدارسهم

فلاحة البساتين

في مدينة واشنطون خمسة واربعون الف طفل يشتغلون بفلاحة البساتين و يقام فيها كل سنة معرض عام تعرض فيه النباتات والخضراوات والازهار والثمار التي يعهد الى التلاميذ في غرسها ونموها بانفسهم وتعرض مع تلك الحاصلات أعمالهم المدرسية النظرية وكلها لا تخرج عن معلومات مستمدة من تلك الحدائق

وفي هذه المدارس يحوم تعليم العلوم كلها من جغرافيا وحساب ودروس أشياء وأشغال يدوية حول تلك الحدائق الصغيرة و يتلقى التلاميذ فيها معلومات حية طريفة محسة عن طبيعة الارض ورطوبتها وخصبها ونمو النبات فيها وظهور البراعم (الاكمام) والاوراق والازهار والثمار وأثر الفصول فيها

فلو قرأت مذكرة كل طفل لعرفت منها تاريخ البذر وخروج النبت ونمو الساق وملاحظاتهم على أدوار نمو النبات وظهور البراعم وانبثاق أزهارها و إيناع أثمارها وجنيها

هذا مجمل مناهج التعليم الاولي في امريكا فاذا انتقلوا منه الى التعليم الابتدائي تدرجوا الى ما هو ارقى وأوسع في تلك العلوم عينها وما يجد عليها ولا ينبو عنها وكذلك حالهم اذا ما انتقلوا الى التعليم الثانوي فانهم يزدادون نمواً و بسطة واتساعاً فى المعارف مع حرصهم على ربط هذه الادوار الثلاثة بعضها ببعض حتى كأنها هيكل جسم واحد يتم تكوينه فى الدور الاول ولا يزيده ما يلي من الادوار الا عظما وقوة ونمواً



المحاضرة الثانية

حضرات اصحاب المعالي والسعادة : حضرات السيدات :
حضرات السادة

أبدأ محاضرتي بتقديم الشكر الجزيل لحضراتكم لتفضلكم بالحضور لسماعها وكل ما أرجو ان يكون لمحاضرات نقابة المعلمين النشيطة الغيورة صدى في نفوسكم ونصيب صالح من اهتمامكم والتفاتكم فان مسائل التربية والتعليم ليست وقفاً على فريق من الامة دون فريق ولا طائفة دون طائفة بل هي ملك للجميع ويجب ان يهتم لها الجميع على السواء

ولم أر أمة أدركت هذه الحقيقة الناصعة وقدرتها قدرها الا الامة الامريكية فترى ابواب المدارس على اختلاف انواعها مفتحة لكل زائر صغيراً كان أو كبيراً غنياً أو فقيراً محامياً أو طبيباً مزارعاً أو تاجراً أو عاملا الخ

كل هؤلاء يرون واجباً عليهم أن يزوروا المدارس من حين لآخر ليتفقدوا سير الدروس بها وليبدوا ما قد يعن لهم من الملاحظات

واذا أراد ذوو اليسار منهم أن يظهروا سرورهم من تلك

المدارس فعندهم الف طريقة وطريقة لإظهارها والامريكان فى هذا اجود من الريح

بمثل هذا التشجيع يشعر المدرسون والقائمون بأمر التربية والتعليم ان وراءهم امة ترقب حركاتهم وتهتم لامورهم وتفرح لرقيهم فيتضاعف اهتمامهم بأمر تلاميذهم و يزدادون همة ونشاطاً ولذلك ارتقت الامة الامريكية رقياً يحسدها عليه اكبر الامم الاوربية حضارة و رقياً

ان وزير المعارف وحده مهما أوتي من العلم والحكمة بل وعشرين معه من نوابغ رجال التعليم لا يستطيعون أن يقوموا بأعباء هذه المهمة على وجهها الاتم الا اذا شعروا بأن من ورائهم أمة يعتمدون عليها وتزودهم بالنصح والارشاد وتشجعهم بالمال — بهذا وحده ترتقي التربية والتعليم و بالتالي ترتقي الامم

كثيراً ما نقرأ ونسمع أن وفود الاعيان تقصد الى وزارة الداخلية لأمور ربما لا تكون من أهم شؤون الدولة ولم نسمع ولم نقرأ أنهم عرجوا مرة على وزارة المعارف أو المدارس لتفقد أحوال التعليم والسؤال عن المناهج الجديدة وما تنوي الوزارة ادخاله عليها من التحسين .

ونحن لا نستطيع أن نجاري الامم الراقية ولا أن نتبوأ مكاناً محترماً بينهـا — الا اذا احتذينا مثالها ونسجنا على منوالهـا ولا بد

للوصول الى ما وصلوا اليه من أن نغير كثيراً من أخلاقنا وأطوارنا . وكل من سار على الدرب وصل

التعليم الثانوي

يحسن بنا ونحن على أهبة انشاء جامعة مصرية أن نخص التعليم الثانوي بشيء من الشرح والايضاح لانه الحد الوسط بين التعليم الابتدائي والعالي ويجب أن يكون من السعة والمتانة بحيث يعد الطلاب اعداداً وافياً اما للدخول في الجامعات واما لسد وظائف الحياة الحقيقية اي الحياة العملية كالصناعة والزراعة والتجارة

وقد عرضت عقدة تلك الدراسة المتوسطة على بساط البحث في أمريكا كما كانت موضع الجدل والمناقشة في اوربا بل وفي جميع البلدان المتحضرة التي يهمها أن تحكم الرابطة بين الدراستين الابتدائية والعالية وقد حلتها كل أمة على الوجه الذي يلتئم مع اغراضها من التربية ومراميها من التعليم

وقد ارتأى الامريكيون في هذا الصدد كما رأى كثير من الامم الاوربية ان يكون هذا التعليم المتوسط عاماً وخاصاً في آن واحد : عاماً بأن تفرض على التلاميذ كلهم دراسة عدد معلوم من الموضوعات الهامة كلغة البلاد لمدة ثلاث سنوات أو أربع والرياضيات لمدة

سنتين وقد يضم اليهما في بعض الاحيان التاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي ، وخاصاً بأن يضاف الى تلك الاصول المشتركة علوم أخرى يختار الطالب من بينها ما يتمشى مع الغرض الذي يريد الوصول اليه كاللغات القديمة (يونانية ولاتينية) أو اللغات الحديثة أو العلوم الطبيعية أو امساك الدفاتر أو قياس المساحات وما الى ذلك

وقد تستغرق دراسة العلوم الخاصة ٧٠ ٪ من زمن الدراسة في بعض المدارس و ٤٠ ٪ في البعض الآخر

هذا فيما يتعلق بنظام الدروس وتوزيعها أما ما يتعلق بالغاية التي يسعى اليها الامريكيون من هذا التعليم المتوسط فهي التوصل الى نظام يكفل تكوين رجال ذوي جد ونشاط . اضف الى ذلك عنايتهم الكبرى ببث روح الاستقلال في نفوس تلاميذهم من بدء حياتهم فهم يتخلون تدريجاً عن سلطتهم ليتسنى لهؤلاء التلاميذ أن يتدرجوا في مباشرة اعمالهم ومراقبتها بأنفسهم ويمرنوا على الابتكار والاختراع وألا يعتمدوا في شيء الا على ارشاد عقولهم وهداية افكارهم . لذلك ولاسباب نفسية « بسيكولوجية » ذكرناها قبلاعني الامريكيون عناية خاصة بتدريس مادة الاشغال اليدوية التي اصبحت ولها المنزلة الاولى بين فروع التعليم في تحريك الجسم وانماء القوة العضلية

وتقوية الارادة العملية وهذا الموضوع الذي بلغ عندهم مبلغا عظيما من الاهمية اجباري في مقرر الدراسة الثانوية الفنية واختياري في المدارس الثانوية العادية الا أن التلاميذ مع ذلك يقبلون على مزاولته اقبالا عظيما لما انطبعت عليه نفوسهم من حبه في المدارس الاولية الابتدائية

ولا يختلف التعليم في هذين النوعين من المدارس الثانوية الا في هـذه النقطة أما باقي العلوم من تاريخ وجغرافيا وطبيعـة وكيمياء فمفروضة فيهما على السواء كما أنه لا فرق بين تعليم البنين والبنات في تلك المدارس الا في نوع تلك الاشغال اليدوية فبينما الذكور يشتغلون في الخشب والحديد وصهر المعادن يشتغل الاناث بالعلوم والفنون المنزلية كالطهي والغسل أو التفصيل والتطريز وفيما عدا ذلك يدرس الجنسان جنباً لجنب التاريخ والجغرافيا والرياضة على السواء وطبقاً لبرنامج واحد

ترون من هـذا أولاً أن التفريع في العلوم يبدأ في المدارس الثانوية الامريكية من السنة الاولى أما في مدارسنا بمصر فمن السنة الثالثة وسيكون من السنة الرابعة في المنهاج الجديد وفي اعتقادي ان الامريكان مصيبون في رأيهم لان التفكير في التخصص مع المحافظة على الثقافة العامة يترك للذهن مجالاً أوسع للتفكير في الغاية المطلوب

الوصول اليها ولا شك ان فعل الزمن المديد أغرس للرغبة في العلم وثبات العزم على بلوغ القصد

علل المربون متانة الحب الذي يشعر به الانسان نحو رفيقه في المدرسة بأنه لم يكن ابن حادثة بل فعل الزمان المديد فنبت في النفس في رفق وهوادة رو يداً رو يداً حتى تغلغل في طياتها واستوى كما تستوي الازهار على سوقها أما حب المفاجأة والمباغتة فلا يقيم في القلب الا ريثما يخرج منه على ان التفريع في العلوم للاخصاء يبدأ في كثير من المدارس الحرة الاوربية منذ التعليم الابتدائي وما ذلك الا ايماناً بأن الشغف الحقيقي بالعلوم لا يكون الا من فعل الزمن المتطاول فاذا نوى الطفل وهو في طفولته انه سيصير طبيباً مثلاً ثم دأب على أن يرى من وقت لآخر ما يذكره بهذا المصير غرس حبه في قلبه تدريجاً وصبغ له الامل والخيال ذلك المصير بالصبغ الجميل فيزداد بهِ شغفاً وحباً

سمعت سنة ١٩٢٢ في مؤتمر التربية الخلقي الدولي مربية سويسرية تخطب أمام هيئة المؤتمر في كيفية تربية الحب البنوي عند النساء فقالت : يجب أن نُشعر البنتَ بحياة الزوجية المستقبله من يوم ان تشعر بوجودها فتكون لعبتها تمثال عروس تداعبه وتلهو به ثم تتدرج الى أدوات الشراب والطعام التي تناسب لعبها ثم الى

متاع شبيه بمتاع المنـازل ثم اذا شدت وعقلت وشبت وترعرعت وكل اليها الاشراف على تربية طفل من أطفال الملاجيء تقوم بنشأته ورعايته مدة سنتين كأنها أمه تحنو عليه ويسعدها أن يكون صحيحاً معافى فلا ينتهي بهـا ذلك الدور الا وهي ربة منزل ماهرة ، قد شغفت بحياتها الجديدة حباً وتأصل في روعها ان سعادتها لا تكون الا في منزلهـا وأنه على تعلقها بأبنائها وغيرتها على تقويمهم وتهذيبهم تتوقف حيـاة الوطن وسعادة الامة . لذلك يقول المربي العربي :
« اطبع الطين ما كان رطباً واغمز العود ما كان لدناً »

وهل اللدونة والطراوة الا في غض الشباب وريعان الصبا

وثانياً — ان التعليم الثانوي عندهم ليس علمياً خالصاً كما عندنا بل انهم أنشئوا مدارس خاصة بالتعليم العلمي واعداد الطلاب للتعليم العالي من غير أن يضحوا بالتربية العملية الفنية *High-schools* كما أنشئوا مدارس ثانوية أخرى لها حظها من العلم أيضاً ولكن عنايتها بالحياة العملية أشد والذين يخرجون منهـا يستطيعون أن ينصرفوا الى فروع الحياة العملية الحقة *Technical Schools*

ثالثاً — ان نصيب البنت من التعليم لا يكاد يختلف عن نصيب الولد في شيء الا في نوع الاشغال اليـدوية أما الثقافة العامة فواحدة فيهما والسبب في عناية الامريكان بتربية البنت تربية علمية

كاملة هو اعتقادهم ان المرأة تجود بكل ما منحت وتعطي كل ما وهبت فاذا ما هذبت وتثقفت دفعها كرم طبعها وصفاء جوهرها الى التفاني في ايصال جميع معلوماتها الى أبنائها وتلاميذها في غير شح ولا بخل فهم يؤمنون بأن مستقبل بلادهم بين يدي المرأة وان عليها وحدها تتوقف سعادة الاجيال المقبلة المتعاقبة لذلك هم لا يدخرون وسعاً في تهذيبها وترقيتها الى أبعد حد مستطاع وان الذي يرى المطابخ ومصانع تفصيل الملابس الملحقة بكل مدرسة ثانوية تهوله ضخامة بنائها واتساع أرجائها وفيها تتعلم الزوجة المستقبلة بالطرق العملية التدريجية كل ما من شأنه ان يضمن لها استقلالا حقيقياً داخل حدود بيتها

ولا يرى الامريكان رأي الاوربيين في فصل البنت عن الولد في المدارس لانهم يعتقدون ان تعليم البنات في مدارس خاصة بهن كما هو الحال في مدارس أوربا تعليم سطحي صناعي لا خير فيه

ولكي تقفوا على تدريس مادة الاعمال اليدوية في تلك المدارس أذكر لكم نماذج من تعليم الطبيعة والكيمياء والهندسة لان طريقة تدريسها واحدة ولا يفوتني قبل عرض تلك النماذج أن أذكر حضراتكم بأن الامريكيين هم المخترعون لمعامل الكيمياء والطبيعة التي نراها اليوم منتشرة في جميع البلدان . ولا يُعلم أن

مدرسة ثانوية أوروبية وصلت في التعليم من طريق العمل *learning by doing* الى ماوصلت اليه المدارس الثانوية الامريكية .

يقول مسيو بويز أنه زار ما يقرب من عشرين معملا من تلك المعامل ورأى الطلبة وهم يعملون بها بكل ما أوتوا من جد ونشاط وقدر ما لها من الأثر النافع والفعل الصحيح في خفة حركاتهم وايقاظ عقولهم وقد كان موضوع التجربة التي أجراها التلاميذ أمامه في مدرسة " **Crane Manual Training School** " تحقيق قوانين البندول ورأى ان الشبان والشابات عند ما فرغوا من العمل وانتهت التجارب أقبلوا على مذكراتهم ودونوا فيها بكل بساطة وبكل اختصار ما يأتي : قوانين البندول — ذبذبات البندول الصغيرة متساوية في الزمن — لا علاقة لمدة الذبذبات بالكتلة — المدة تناسب الجزر التربيعي لطول البندول . انتهى . فليس بين الظاهرة الناتجة وعقل التلميذ وعينه محل لذلك الحشو الممل من الجمل والاصطلاحات والتعريفات التي يجب استظهارها بل ان الحقيقة المجردة العارية هي التي تتجلى أمام أعينهم ثم تدخل في ذاكرتهم كأنها ملكهم الخاص .

وتسير التجارب طبقًا لرؤوس مسائل مختصرة من متون الكتب *Text books* تبين الغاية من كل تجربة والاحتياطات التي يجب اتخاذها تحاشيًا للوقوع في الخطأ

والى حضراتكم نموذجاً من نماذج التجارب الكيمائية التي كان يجريها طلبة مدرسة *"Mac Kinley Training High School of Chicago"* أثناء زيارة مسيو بويز لها (التغييرات الكيميائية للنحاس)

(١) خذ قطعة نحاس وتأملها . هل يشاهد عليها تغيرات ظاهرة اذا سخنتهـا في أنبوبة اختبار وهل تذوب في الماء . ما صفات النحاس الاخرى ؟

(٢) ضع قطعة صغيرة من النحاس في أنبوبة اختبار بها حامض أزوتيك مركز . دون بدقة وعناية ما يطرأ من الظواهر ومتى انتهى تأثير حامض الازوتيك صب السائل في جفنة من الصيني وبخره بوضع الجفنة على شبكة معدنية فوق مصباح بنزن . سخن بهدوء واحذر أن تسخن بشدة اذا ابتدأ التجفيف

(٣) بعد التبريد اجر على الجسم الحادث نفس التجارب التي أجريتها على النحاس على حسب ما هو مبين برقم ١

(٤) هل اذا بخرت ثلاث أو أربع نقط من حامض الازوتيك تحصل على ماحصلت عليه عند ما بخرت النحاس وحامض الازوتيك؟

وازن بين رقم ٣ ورقم ١ ثم استنبط مع ملاحظة ما جاء برقم ٤ نتائجك ودافع عنها بالحجج القاطعة استناداً الى ما اكتسبته من التثبت والخبرة في العمل

يقول مسيو بويز ان من يعلم مدى كراهية تلاميذنا لدراسة علم الكيمياء من الكتب والمختصرات والمذكرات يأخذه الدهش حينما يرى السرور باديًا على وجوه التلاميذ الامريكيين وهم يتعلمون بالادوات والاجهزة ذلك العلم النفيس الذي لم تعد تخفي أهميته العظمى على أحد سواء أفي قيمته التهذيبية أم في تطبيقاته الصناعية

أن الأثر الذي يتبقى في أذهاننا بعد مغادرة المدرسة من دراسة علم الكيمياء التي نسميها تجاوزاً بالكيمياء العملية لا لسبب سوى أن المدرس يجري من حين لآخر بعض التجارب برأى من التلاميذ، ذلك الأثر هو ان النظريات والقوانين هي أصل العلم والاساس الذي يشاد عليه أما الحقائق والتجارب ففي المنزلة الثانية ولا تأتي بعدُ الا لتحاول — ولو بالاكراه — تأييد تلك النظريات واثباتها وأن علم الكيمياء بحذافيره معلق على النظرية الذرية التي لو أغفلت لا وصد باب الاجتهاد ولاستحال التحليل واستعصى الاختراع وأن المبتدىء من الطلاب ليخيل اليه أنه بلغ ذروة الرقي اذا عرف أن الماء هو ايد ٢ وأن لم يكن يدرك لذلك الرمز اصلاً ولا معنى

أما في امريكا فان النظريات والقوانين تستكشف استكشافاً بالعمل والتجربة كما قدمنا ولا شك في أن هذه هي الطريقة المثلى للتدرج في الابتكار والاختراع

فبينما ترزح مدارسنا تحت عبء تلك الطرق العتيقة التي تقف التلميذ موقف المستمع المتقبل لا الممثل الفاعل اذ بمدارس الامريكان تجاوبها بكل افتخار بما تنعم به من الطرق الحديثة التي ترمي دائماً وبكل الوسائل الممكنة الى استخراج ما كمن في التلميذ من جهود وملكات وارادة ومنطق ومهارة وتوجهها جميعاً للعمل جنباً لجنب متخذة لها في ذلك كله شعارهم المشهور "*push — Help Yourself*" ومعناه :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

ليأخذوا الاطفال من حداثة اسنانهم . بالاعتماد على النفس والجراءة على الخوض في غمار الحياة وتجربة أمورها واقتحام عقباتها مهما كلفهم ذلك فهم يعلّمون الطالب كيف يكون وصولياً ولكن على أرقى وأشرف أساليب الوصولية *Arrivisme*

تأثير هذه التربية الاستقلالية في نفوس الامريكان

كان طبعياً بعد ذلك أن نفهم من تربية تطرق ذلك الطريق وترمي دائماً الى اعداد كل فرد لان يقوم بنفسه ويستقل بأموره في هذا المعترك أن الامريكان قوم بلغوا من جمود العواطف وقساوة القلب مبلغاً عظيماً فلا يعنيهم أمر الجائع ولا يشغلهم شأن البائس

وهذا نتيجة ما يسميه الافرنج الفردية المتطرفة *«L'individualisme à outrance»* غير أن من ينعم النظر في أخلاقهم الاجتماعية يرى انهم يفهمون من الصدقة والاحسان معنى غـير المعنى الذي تفهمه الحضارة القديمة ذلك انهم بحثوا عن علة الشقاء فاجتهدوا في ملافاتها وعرفوا مكمن الداء فعمدوا الى استئصاله . عرفوا أن علة الفقر الجهل فأقامو ادور الـكتب بكل سبيل وفتحوا مدارس لـكل طالب وأوجـدوا عملا لـكل عامل ووسيلة لـكل مستطيع فليسوا مثل الامم القديمـة تداوي ظاهر العلة وتبرىء اليوم ما ينتقض غداً فتطعم الجائع وتسد حاجة المحتاج وهي بذلك انما تعطل جمهوراً كبيراً تحتاج البلاد الى جهوده وتعوده الرحمة الضارة وتحرم الوطن الانتفاع بوجوده فلا هي أحسنت الى هؤلاء ولا الى الوطن بهـذا الاسلوب من الشفقة والرأفة

والآن أعرج بحضراتكم على فرنسا التي ترسف في قيود طرق التربية العتيقة العقيمة كما يعترف به كبار علمائها وكتابها والتي لا تزال الى اليوم تئن انيناً مراً من ذلك المرض الاجتماعي الخطير الذي نجحت أمريكا نجاحاً باهراً في استئصال شأفته من بلادها بفضل تربيتها الحقـة وتعليمها الصحيح ذلك المرض هو وجود جيش عرمرم من ابنائها العاطلين وجلهم من الذين قضوا شبابهم بالمدارس

والجامعات وحصلوا منها على الشهادات والدرجات والالقاب العلمية العالية

يقول جوستاف لوبون أن الدعامة الكبرى التي يشاد عليها صرح التعليم في مدارسنا الثانوية والعالية هي حفظ الكتب الضخمة واستظهار الشروح المطولة وشحن الادمغة بنظريات لا تستقر فيها الا ريثما تنقضي أيام الامتحان شأن كل علم يصل الى العقل من طريق السماع وليس للنظر فيه مجال

واذا كان الشاعر العربي يقول في مجال السياسة : السيف اصدق انباء من الكتب فانا أقول في مجال التربية والتعليم العين أصدق انباء من الاذن

والروح السارية في الجامعات بل وفي المعاهد العلمية كلها هو الاعتقاد بان قيمة الرجال تقاس بمقدار ما يطيقون أن يحفظوا وما يستطيعون أن يسمّعوا فلا فرق عندنا بين خريجي الجامعات وحاملي البكالوريا الا أن الصنف الاول يخزن في ذاكرته من المعلومات اكثر من الصنف الثاني وليس اذن بغريب أن يضؤل الانتاج العلمي الفرنسي وتنحط مكانته العلمية بين الامم

نحن نعترف بان عندنا مهندسين واطباء واساتذة يفوقون مناظريهم من الامم الاخرى علماً ولكنهم للاسف اذا وضعوا

قدمهم في ميدان الحيـاة العملية الحرة اظهروا من الخبل والعجز ما لا يشرف رجال الجامعة الذين خلقوهم خلقاً صناعياً والذين وصفهم الناس بحق انهم علماء بلهاء **Idiots Savants** اما اذا منحتهم الحـكومة وظائف فيها فان ذلك النقص الفاحش والعجز الظاهر يظل مخبوءا مستوراً ولا يظهر جليًا الا عند مزاولة الاعمـال الحرة ولا سيما الصناعات والحرف التي تتطلب مهارة ودقة كحرفة المهندس مثلا . واليكم اقوال أحد الاساتذة امام لجنة التحقيق :

ان المهندس الالمـاني عند خروجه من مدرسـة فريبرج (**Fribourg**) مثلا يستطيع أن يباشر العمل من فوره وله قيمة فنية يعترف بها رؤساء المعامل والمصانع الـكبيرة . أما المهندس الفرنسي الخارج من سنترال الذي يعلم من العلم النظري مالا يعلمه المهندس الالماني فانه قل أن ينتفع به في هذا المضمار لانه كما يقولون :

Apte à tout مستعد لـكل شيء

bon a rien ولا ينفع بشيء

ولذلك يختار رؤساء المعامل والمصـانع في فرنسا عمالهم من خريجي مدارس الفنون والصنائع بها ويؤثرونهم على المتخرجين في مدرسة سنترال

وما ينطبق على المهندس ينطبق على الجندي والطبيب والمعلم وغيرهم

كتب مسيو (دوسوسير) أحد ضباط البحرية الفرنسوية مقالا في كيفية تعليم تلاميذ المدرسة الحربية الرماية قال فيه أن هؤلاء الشبان يقضون الايام والشهور في حفظ تظرية الرماية من الكتب والمدافع أمامهم وليس لاحد أن يلمسها بيده ثم يمر الممتحنون فيمنحون أعلى الدرجات لمن يحسنون الحفظ ويجيدون التسميع ولو اننا أردنا خيراً بابنائنا وتوخينا معهم طرق التربية الحقة لتركناهم يضعون أيديهم في العجينة مباشرة ويفكون المدافع قطعة قطعة ثم يعيدون تركيبها المرة تلو المرة واني لواثق أن التلميذ الذي يطلق مدفعاً بعد حله وتركيبه بيده ليعرف من نظرية الرماية والتصويب أضعاف مايعرفه منها من حفظها من الكتب واستظهرها من الشرح

لا نريد أن نسترسل في ايراد الادلة والشواهد الصادرة عن افاضل الكتاب والعلماء ولا سيما الذين ساحوا في الدنيا وجاسوا خلال الامم وخبروا احوال الشعوب ووقفوا على اسرار رقيها أو انحطاطها مثل « ميسو دوسوسير » المتقدم الذكر لان الانسان يكاد يخجل من تكرار أمور كهذه اضحت واضحة وضوح البدهيات غير أن من يراها بعينه يدرك مدى تأثير عقلية رجال الجامعة في جميع معاهد التعليم ومبلغ ما جروه علينا من الويلات بفضل طرقهم العقيمة في التربية والتعليم فلقد صيرتنا امة تتعلق باهداب النظريات بعيدة

عن الحقائق عاجزة عن تكييف الظروف والانثناء امام الضرورات قصيرة النظر في الحكم على الاشياء والبصر بعواقب الامور ولا بد من أن نعترف صراحة أن تعليمنا الحالي لا يتمشى مع التطور الحديث ولا يتفق مع احتياجات هذا العصر بل انه من أهم عوامل الانحطاط الاقتصادي الذي تعانيه فرنسا اليوم وانه ليحزننا كل الحزن أن تقارن رقينا البطيء في الشئون التجارية والصناعية بذلك التفوق الظاهر والنجاح الباهر الذي أحرزته الامم المجاورة لنا في هذا الميدان ولا سيما الالمان

وكيف لا تكون المقارنة محزنة والنتيجة سيئة وقد جرينا في تقدير الرجال في سن العشرين على قاعدة ترتيب الشهادات التي أحرزوها من الحكومة ومن هؤلاء دون غيرهم تختار الحكومة من يتولى شؤونها ويقوم بخدمتها

أما الافراد الذين قاموا بأنفسهم وعولوا على جهودهم ونبغوا نبوغاً عظيما في المدارس الحرة فلا تنظر اليهم الحكومة ولا تستفيد من علمهم ونبوغهم لا لسبب سوى انهم لم يطبعوا بطابعها ولم يحرزوا القابها

وقد ترتب على ذلك اندفاع الشباب كلهم وراء الشهادات مضحين في سبيل الحصول عليها بقواهم الجسمانية والعقلية نابذين وراء

ظهورهم وظائف الحياة الحقيقة النافعــة التى لا يتسنى لامة أن تقوم بدونها وهي التجارة والصناعة والزراعة والاستثمار وهكذا . فـكانت النتيجة المحتومة من تهافت الشباب على الدراسة النظرية ان ازدادت جموع العاطلين من الحاصلين على تلك الشهادات وزاد عددهم عن حاجة الحكومة وأصبحوا عيالا على المجتمع . وماذا تصنع الحكومة بذلك الجيش العرمرم من حاملي البكالوريا والليسانس وغيرهما . لا شك أن هؤلاء الشبان وقد أعدتهم المدرسة للتوظف ليس غير ، ينزعون الى العبث بالنظام العام ويجنحون الى الثورة لانهم يظنون انهم ذهبوا ضحية ظلم الحكومة وجورها

يقول الكاتب الفرنسوي « ليون سى » ان التعليم الثانوي جنى على فرنسا جناية عظمى لانه كان من أهم العوامل التي ساعدت على نمو الاشــتراكية وانتشارها فيها من جراء تلك الزيادة المطردة في عدد حاملي الشهادات العليا الذين لم تستطع الحكومة ان تجــد لهم عملا في مصالحها .

وان أظهر الادلة على ذلك وأوضحها لهو ذلك الطالب الفوضوي (إميل هنري) الذي بعد ان حصل على البكالوريا وأتم دراسته العالية في مدرسة الهندسة حكم عليه بالاعدام شنقاً .

ان العلم الناقص خطر لانه يحمل الطلاب على احتقار الاشغال

النافعة من جهة ، ومن جهة أخرى يحرك أطماعهم ويفتح شهياتهم دون أن يمنحهم الوسائل لارضاء تلك المطامع وأشباع تلك الشهوات

ان هؤلاء اليائسين من حاملي الشهادات العالية مر العلم على أذهانهم في المدرسة مرور السحاب دون أن يفهموا له معنى أو يدركوا له غرضاً فأصبحوا لذلك عاجزين عن فهم الحياة الاجتماعية وادراك نظرياتها المتشعبة المعقدة وأصبحوا لا يرون منها الا ما يبدو لهم من مظالم موهومة وجور مزعوم

يزداد عدد هذا الجيش الكبير كل يوم ولا بد أن يزداد كلما ازداد نفور الناس من الاشغال اليدوية وتدل الارقام والاحصاءات على انه في سنة ١٨٥٠ كان عدد الاسر التي قدمت أبناءها للتعليم الثانوي عشرين الفاً واليوم بلغ ذلك العدد عشرة أمثاله . وسينبئنا المستقبل القريب عن الاسباب التي دعت الى انحطاط الامم اللاتينية وانقراضها من عالم الوجود . لا شك ان تعليم الجامعات يكون من أقوى معاول الهدم وأهم أسباب الفناء

لقد بلغ من احتقار الفرنسويين للاعمال اليدوية أن كثيراً من العمال يكرهون أن يكون أبناؤهم مثلهم عمالا يشتغلون بأيديهم وأن كثيراً من المزارعين لا يروقهم أن يخلفهم أولادهم في حراثة الارض

ذلك لانهم ولعوا بالتوظف وآثروا فخره على الرخاء والغنى اللذين تدرهما الاعمال الحرة

ولقد كان من وراء ذلك أن صارت فرنسا تلتجيء الى الإستعانة بالطليان والبلجيكيين لفلاحة الارض والقيام بكثير من الاشغال اليدوية التي هى في الواقع مصدر الثروة الحقيقية في البلاد

لم يقف الامر عند استخدام الاجانب في عقر البلاد بل تجاوزه الى المستعمرات فهذه بلاد الجزائر تموج بالسكان من أهل اسبانيا ومالطه على حين تفيض مدن فرنسا بالكتبة والمستخدمين الذين قنعوا بالمرتب الضئيل ورضوا بالعيش الضنك (لان الوظائف ايضاً كالسلع في الاسواق خاضعة لناموس العرض والطلب) والسبب في ذلك راجع الى أن التعليم الذي تلقوه بالمدارس لم يعدهم للمغامرة في الحياة العملية ان لم يكن قد اقصاهم عنها ولقد شعر المصلحون من رجال فرنسا بوخامة العاقبة من دوام هذه الحال فهذا مسيو هانوتو أحد وزراء فرنسا السابقين يصرح امام لجنة التحقيق بوجوب تحويل عدد كبير من المدارس الثانوية الحالية الى مدارس فنية ويقترح ادخال دروس الزراعة ضمن مقرراتها لان فرنسا بلد زراعي وقد نجحت التجربة نجاحاً عظيماً في عدد صغير من تلك المدارس ومنها مدرسة نيو بور المشيدة في الخلاء والتي كلفت الحكومة نفقات

طائلة والتي كادت تغلق ابوابها لقلة الطلاب فيها ولـكنها ما لبثت أن عادت اليها الحيـاة وماجت بالطلاب لما ادخلوا فيها الدروس الزراعية النظرية والعملية وفي هذا وحده دليل قاطع على وجوب أن تكون مناهج التعليم متغيرة طبقاً لطبيعة الاقليم وحاجة أهـله فتضاف الزراعة الى العلوم اذا كان الاقليم زراعياً ويحل محلها علم المحاسبة وامساك الدفاتر اذا كان تجارياً وهكذا حتى تجـد كل مقاطعة من ابنائها من يتولى تسيير أمورها و ينهض بأعمالها كما هو الحال في المدارس الانجليزية الثانوية

ولقد قال « جول فري » لما كان وزيراً للمعارف قولا حكيماً بشأن الاشغال اليدوية وضرورة تعليمها في المدارس :

« أن اليوم الذي يتاح لنا فيه أن نضع المبرد والفارة بجانب فرجار الهندسة وكتاب التاريخ وننظر الى جميع هـذه المواد بعين واحدة ونعيرها اهتماماً واحداً هو اليوم الذي يقضى فيه على كثير من الترهات والاباطيل من عاداتنا وتزول عوامل التفريق بين طبقات الامة وينبعث نور السلام الاجتماعي من حُجر المدارس الابتدائية لينتشر في جميع ارجاء البلاد » وما ذلك على فرنسا بعزيز ولا سيما بعد أن نجحت امريكا في نشر تلك الطرق في بلادها

نعم إننا نباين الامريكيين في سرعة القبول للجديد لان هذه الامة امة حديثة لم تثقلها قيود الماضي من عادات وتقاليد اما نحن الفرنسيين فقد يكون من الصعب علينا قبول الاصلاح لما لنا من سنن متبعة وعادات متأصلة وصعب على الانسان هجران ما تعود واطراح ما شب عليه وتلك ميزة الامريكيين علينا فهم ليس لديهم مثلنا جامعة تُصم آذانها عن الاصلاح وتحـارب كل انشاء وتجديد

لعل من سوء الحظ للامم اللاتينية أن كان لهـا تاريخ قديم تعتز به ولا ترضى به بديلا فكلما دعا داع للاصلاح نكصوا على اعقابهم « وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »

لذلك لم يتح لهذه الامم أن تخطو تلك الخطوات الواسعة الى الاصلاح لانها تلتفت الى الماضي فاذا هي تخطت خطوة رجع بها الشوق الى قديمها فتقهقرت خطوات فنحن سنستمر في جهاد عنيف مع هؤلاء الاموات ولعلنا غير مستطيعين في يوم من الايام أن نُجلي من أمامنا جيش تلك الاشباح القديمة المروعة فقد مضى نحو قرن من الزمان دارت فيه الرحي وحمي الوطيس بين القديم والحديث ولم يظهر ان النصر بجانب الاحياء الى الآن

الخلاصة

نستخلص من كل ما تقــدم ان التربية والتعليم على نوعين أحدهما عماده الحفظ والثاني عماده التجربة أما النوع الاول فقليل الجدوى ضعيف الفائدة كما أشار اليه مونتين بقوله :—

Savoir par cœur n'est pas savoir.

ومعناه : ليس العلم بالاستظهار جديراً ان يسمى علماً و يقول «كانت» في هذا الصدد اذا لم يستطع الطفل ان يطبق قاعدة نحوية تطبيقاً صحيحاً فلا فائدة من حفظه إياها لانه يجهلها وان الطفل الذي يعرف كيف يطبقها لهو الذي يعرفها حقاً وان لم يحفظها

وتسلك الامم اللاتينية الطريقة الاولى أما الثانية فتسير عليهــا الامم الانجلو سكسونية ولا سيما الامريكان فالشاب اللاتيني يتعــلم اللغة من الاجرومية والمعاجم ولا يحرك بها لسانه و يتعلم علم الطبيعة من الكتب دون أن يلمس بيده جهازاً من أجهزتها واذا قدر له النجاح في الحياة العملية فيما بعد فلا يكون الا بعد أن يتجرد من معلوماته القــديمة و يبدأ بتربية نفسه بنفسه من جديد أما الشاب الامريكي فقلّ أن يفتح كتاب الاجرومية او اللغــة لانه يتعلم اللغة بقراءتها والتكلم بها و يتعلم الطبيعة بالتمرن على ممارسة أدواتها وادارة

أجهزتها ويتعلم الهندسة بأن يبدأ بالدخول كعامل في مصنع من المصانع حتى يمهر فيها بالعمل ثم يبدأ بعد ذلك بالنظريات وبهذه الطرق البسيطة وصل الانجليز والامريكان الى خلق بيئة علمية من النابغين الذين يندر وجود أمثالهم في العالم وانما آثرت الامم الانجلو سكسونية طريقة التعليم والتربية بالتجربة والعمل على طريقة الحفظ والاستظهار لا جريًا منها وراء المنفعة المباشرة التي تعود من ممارسة الاعمال ومزاولتها فحسب بل سعيًا وراء غاية أرفع وأسمى وهي تنمية روح المراقبة وقوة التفكير فى النابتة لان اجراء التجارب يستدعي النظر الصحيح الى الاشياء ويتطلب التأمل والتفكير أما حفظ الدروس عن ظهر قلب فلا يتطلب ذرة من التعقل والتصور

ولكي يقف حضراتكم على مبلغ تعلق الامم الانجلوسكسونية بأهداب التعليم العملي نقتطف كلمة حكيمة وجهها المستر بلاكي الاستاذ بجامعة ادنبرج الى الشبان قال : —

« وصيتي للشبان ان يكون العمل ومراقبة الاشياء أول دراستهم وأن يعلموا ان مناهل العلم العذبة وموارده الصافية لا توجد في الكتب بل في الحياة نفسها وفي التجربة والمزاولة والمحاولة فاذا ما تقدم المرء الى الحياة نشيطًا للعمل جريئًا على التجريب صبوراً على المزاولة فذلك هو سر نجاحه وليست الكتب بجانب تلك

الصفات والمزايا الا مرشـداً عند الهفوة ومنبهاً عند الغفلة وساداً للكثير مما يعرض من خلل أو يطرأ من نقص

فالكتب الى جانب التجربة مفيـدة نافعة ولكنها وحدها لا طائل تحتهـا ولا خير فيها . وما مثلها الا كمثل المطر يهطل على أرض لم تثرها فأس ولم يشقها محراث .

ربما يتوهم ان الاعتماد على التجربة في جميع فروع التعليم ولا سيما الادبيات منها كالجغرافيا والتاريخ وعلم الاخلاق ليس بالامر الهين المستطاع والحقيقة ان تلك العلوم تلقن الآن للاطفال بالعمل والتجربة ليس الا . ففي درس الجغرافيا يخرج المدرس بتلاميذه الى الغيطان والمتنزهات بعد أن يزود كلا منهم بانقلم الرصاص وبيت الابرة (بوصلة الجيب) والورق المسطر على شكل مربعات صغيرة ليعلمهم كيف يرسمون منظر الارض التي يمرون بها ومرتفعاتهـا ومنخفضاتها على الورق في مستوى واحد بمقيـاس رسم معلوم مع المحافظة على الابعاد والاوضاع ولا يبدأ التلاميذ بالنظريات الا بعد ان يحذقوا رسم الخرائط الجغرافية

وفي درس التاريخ يعتمد على مشاهدة ما خلفته كل أمة وراءها من مدنية وحضارة كالمباني والنقوش والرسوم وما شاكلها وهـذه

يمكن مشاهدتها بالتردد على دور الآثار او استعراضها بالفانوس السحري او السينماتوغراف . ان التاريخ اذا درّس للاطفال على هذا النحو فانه يترك في أذهانهم أثراً لن يمحى على مر الايام والاعوام أضف الى ذلك انه أنفع لهم من استظهار الوقائع الحربية وتواريخ الحوادث وسير الملوك من الكتب

أما علم الاخلاق فيصح أن نقول ان اسلوبًا غير أسلوب التجربة المباشرة في تلقينه للنشء لا يجدي نفعًا وقد أشار الى ذلك بسكال بقوله « ان الاخلاق الحقة تهزأ بعلم الاخلاق » يريد بذلك ان يقول ان من يظن ان الاخلاق تعلم بتلقين قواعدها من الكتب فقد جهل طبائع الاطفال جهلا عميقًا

ان التجارب وحدها هي التي تعلم الرجال وانها وحدها هي التي تعلم الاطفال ايضًا فلندع الاطفال يميزون الخير من الشر بأنفسهم ولنعودهم من نعومة أظافرهم أن يتحملوا تبعة الشر كلما وقعوا فيه ، قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فلان لا يعرف الشر قال هذا أحرى أن يقع فيه .

وهؤلاء سكان الجزر الفقيرة الذين اضطرتهم قساوة الطبيعة وضنك العيش الى الارتزاق من طريق عراك الحوادث ومكابدة الحيل (والحاجة تفتق الحيلة) الى التخلق باخلاق الرجولة الصحيحة كالصبر والثبات والارادة والدهاء والجرأة والاقدام

لانهم تلقوها بالتجربة ودرسوها بالعمل فكان لها هذا التأصل في نفوسهم والرسوخ في طباعهم ولا تكون اخلاق الامم اخلاقاً صحيحة ثابتة الا اذا غُرست في نفوس ابنائها بالتجارب والممارسة زمناً مديداً وتلك هى الغاية التي تتجه اليها جهود المصلحين والغرض الاسمى الذي ترمي اليه التربية الحديثة التي وضع لها الدكتور جستاف لبون تعريفاً جديداً مختصراً جامعاً اتفق كبار المربين في الامم الراقية على اتخاذه اساساً تبنى عليه تربية النشء وهو *L'Education est l'art de faire passer le conscient dans l'insconscient,* ومعناه أن التربية فن يوصل الى جعل النظريات التي تفتقر الى اعمال الفكر والروية — عادات وغرائز في النفس تصدر عنها من غير تأمل ولا تفكر لطول المرانه والمراس وقد فطن اركان الحرب الانكليز والامريكان الى هذا التعريف وقدروا اهميته قدرها في التربية العسكرية على وجه الخصوص لأن الجندي في ميدان القتال مسوق الى العمل بغرائزه وعاداته ويعتمد عليها اكثر من اعتماده على عقله وتصوره

الخاتمة

أيها السادة

الى هنا فرغت من شرح امهات مسائل التربية والتعليم في

امريكا مع مقارنتها على قدر المستطاع بمثلها في الامم الاوربية الراقية وليس لي من غرض الا أن اعرض على مسامع حضرات المعلمين والغيورين على التعليم في مصر من أي طبقة كانوا افكاراً سليمة جديدة في التربية والتعليم كانت هي السبب الوحيد في أن اصبحت الامة الامريكية متبوئة مكانة سامية غبطها عليها اعظم الامم الاوربية حضارة ورقياً

اعرض تلك الافكار الصحيحة وانشرها بين الناس لاعتقادي أن الانسان يجب الا يتردد في نشر الافكار الصائبة النافعة في البيئة التي يعيش فيها فانها كالبذور الصالحة لا بد أن تنبت يوماً ولو اصابت ارضاً يابسة جامدة — اعرضها وانشرها بين طبقات المعلمين خصوصاً لعلهم ينسجون على منوالها ويحتذون مثالها في مدارسنا او يقتبسون منها على الاقل ما يناسب حالنا ويتفق مع ذوقنا

قد يكون من الصعب احياناً نقل طرق التربية والتعليم برمتها من امة الى امة أخرى وربما لا يكون فاليابان مثلا وهي امة جديدة لم تثقل كاهلها العادات المتوارثة والتقاليد المتعاقبة استطاعت أن تنقل نظام الجامعات في المانيا بحذافيره فاينع واثمر واصبح لدى اليابان بيئة علمية لا تضارعها في التثقيف وحب البحث والاختراع الا البيئة الالمانية

ومصرنا الجديدة الناهضة لا يضيرها ان تقتبس من النظم الحديثة ما تشاء فليست المدنية الا تقليداً وانقياداً بعد تحكيم الذوق في اختيار الانسب

وان قبول التبديل والتغيير وسرعة الاجابة لدعوة الاصلاح من اسرار نهوض الامم ورقيها فهـذا مونتسكيو يعزو رقي الرومان وتفوقهم الى تلك المرونة في طباعهم وسرعة اخذهم بالحسن متى ثبت لهم حسنه وقبولهم النافـع والمفيد متى تحققوا نفعه ووثقوا من فائدته يقول : « أن من أهم الاسباب التي جعلت الرومان سادة الدنيا وقادة العالم انهم وهم يحاربون امم الارض جميعًا و يفوزون عليها الواحدة تلو الاخرى لم يحجموا أبداً عن التخلي عن عاداتهم والتحلي بما يجدونه انسب منها واصلح ثم يقول بعد ذلك « ومن المدهش أن تلك الامم التي نازلها الرومان في جميع الأمكنة والازمنة استسلمت للفنـاء استسلاماً دون أن يفطنوا الى سبب تدهورهم و يبحثوا عن علة شقائهم »

وهل لشقاء الامم المغلوبة على امرها من سبب سوى الجهل المخيم على عقول ابنائها واستئثار كل فرد منهم بحب الفخار مفضلا شهوته ومصلحته على مصلحة الوطن فالأثرة والانانية هي الداء الدوي الذي ينخر عظامنا اليوم

لقد اغريتكم ايها السادة بسلوك طريق الرومان في سرعة قبول الجديد الموافق وليس ذلك طمعاً في أن نسود العالم مثلهم ولكن طمعاً في الا يسودنا احد وأن يكون بناؤنا بايدينا واعتمادنا على انفسنا حتى نتبوأ بذلك مكاناً لائقاً بين الامم

وليس مرادي من التمدح بسرعة قبول الجديد والرضا بالتبديل والتغيير ان تقلب الامور رأساً على عقب فان ذلك لا ينبغي أن يكون قصد أي مصلح فرب عجلة تهب ريثاً ولو أن مصلحاً متعسفاً بدل الاشياء جملة فانها تواتيه حيناً ولكنها لاتلبث اذا زال عنها استبداده وارتفع سلطانه أن تعود الى قديم شأنها وسابق عهدها

أن الاصلاح الناجع ولا سيما في أساليب التربية والتعليم هو ذلك الاصلاح التدريجي المستمر الذي يحاكي الطبيعة في فعلها فهي التي كونت الجبال الرواسخ من ذرات الرمل الصغيرة بتراكم بعضها فوق بعض على مدى الايام والاجيال

فكرت وزارة معارفنا من عهد قريب في تغيير مناهج التعليم وتنقيحها ورأت أن تضيف اليها مواد جديدة كالمنطق والواجبات الوطنية والتاريخ الطبيعي الخ. هذا حسن في ذاته ولكن نرجو ان تكون قد فكرت قبل أن تزيد تلك المواد الجديدة في نقص المواد القديمة

حتى لاينوء التلاميذ بثقل الحمل والعبء الباهظ الذي يضطرهم الى شحن اذهانهم بما لا يدوم فيها الا ريثما ينقضي الامتحان . فلقد شاهدت بنفسي أثناء تفتيش المدارس الثانوية ان المدرسين يشكون من طول المناهج ولذلك رأيتهم يهتمون باتمام المقرر اكثر من اهتمامهم بتثقيف اذهان التلاميذ وتربية ملكة التعقل والاستنباط فيهم حيث لا يدعون لهم من الوقت ما يمكنهم من التفكير والتروى بحجة ان المقرر اطول من ان يسمح لهم بالمناقشة والاستقصاء

ليس من الضروري ان يكون تنقيح مناهج التعليم بالزيادة في المواد بل قد يكون بحذف بعضها واختزال البعض الآخر فسر التعليم هو في القليل الشائق المفهوم الذي يدعو الى الاستنباط ويعود الحكم الصحيح على الاشياء والتبصر في عواقبها . التعليم الصحيح كما يقولون كيفٌ لا كمٌّ

وتلك نقطة اساسية وفكرة جوهرية فى موضوع التعليم نحب ان نوجه اليها الانظار توجيها خاصا وان كنا نعتقد أنها لا تعزب عن فطنة وزير المعارف الذي لم يألُ جهداً ولم يدّخر وسعاً فى سبيل الاصلاح والتجديد من يوم ان تسلم مقاليد التربية والتعليم

على اننا نرحب بكل زيادة فى مقرر الدراسة تنمي فى النشء اخلاق الرجولة الصحيحة كالعمل اليدوي الذي يحبب اليهم الحركة ويعودهم الصبر والثبات والمقاومة فى معالجة شئون الحياة

سمعنا ان وزارة المعارف اعتزمت إنشاء اقسام لفلاحة البساتين وتلك فكرة جميلة تشكر عليها واملنا ان تتوسع في هذا المنهاج من التعليم وتعممه في المدارس الاولية والابتدائية كما توسع فيه الامريكان على نحو ما سمعتم في المقال السابق وان تقتدى بها المدارس الاهلية الغنية كالجمعيـة الخيرية الاسلامية وجمعية المسـاعي المشكورة التي تملك نحو الف واربعمائة فدان . كان الواجب على تلك المدارس الحرة الا تسير على منهاج التعليم النظري اسوة بالحكومة بل تقصر جهودها على تنمية هذا النوع من التعليم خدمة لابناء اقليمها حتى يخرج منهم الصالحون للحياة العملية الزراعية ولا نرى منهم المتهافتين على الوظائف . وفي اعتقادي انه لواستمرت الحال في مصر على ما نرى من العناية بالتعليم العلمي دون التعليم الفني لوقعنا بعد بضع سنوات في تلك المشكلة الاجتماعية الخطيرة الواقعة فيها اوربا اليوم وهي مشكلة العاطلين من حملة الشهادات على نحو ماذكره جستاف لبون عن فرنسا

وقد سمعنا كذلك ان الوزارة اعتزمت تدريس التاريخ الطبيعي بفروعه من حيوان ونبات وجماد فسدت بذلك نقصاً كبيراً لازم التعليم في مصر مدة الثلاثين عاماً الاخيرة واكبر أملنا ألا تقتصر في تدريسه على النظريات وشرحها بين جدران المدارس بل المأمول ان يخرج التلاميذ في فهم هـذا العلم الى العمل والمشاهدة بأنفسهم في

الحقول والبساتين حتى تعشق انفسهم تلك المعيشــة وتكون عنها راضية وبها قانعة وأرى ان يبدأ بدراسة هذا العلم الجليل الأثر في تنمية قوة الملاحظة من السنة الأولى

جاء في تقرير اللجنة البرلمانية الفرنسية ان عدد التلاميذ الذين يعدون انفسهم للعلوم النظرية في المدارس الثانوية ١٨٠٠٠٠ وان عدد من يتخصص لفروع الحياة العملية من زراعة وتجارة وصناعة لا يتجاوز ٢٢٠٠٠ اعني بنسبة ٨ من النوع الاول الى واحد من النوع الثاني والاولى ان تعكس النسبة لان الامم لا تعيش بالمحامين والمهندسين فحسب بل رغد عيشهــا من كد المنتجين من الزراع والصناع والتجار وهؤلاء هم نحو تسعة اعشار الامة فلا بد ان يكون لهم من المدارس ما يناسب عددهم

وهاكم ما جاء في تقرير لجنــة التجارة والصناعة المنشأة بقرار من مجلس الوزراء بتاريخ ٨ مارس سنة١٩١٦ برياسة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا « تقترح اللجنــة ادخال التعليم التجاري الاولي في المدارس الاولية والتشجيع على توسيع دائرة الدروس التجارية الليليــة في المدن العظيمة لأنه من اللازم ان يؤثر التعليم التجاري تأثيره المطلوب في الطبقات الوسطى والفقيرة من الأهالي على الأخص لأنهــا دون غيرها هي التي حافظت الى الآن على الروح التجارية وتقاليدها خلافاً للطبقة العليا عندنا فقد بقيت ميالة

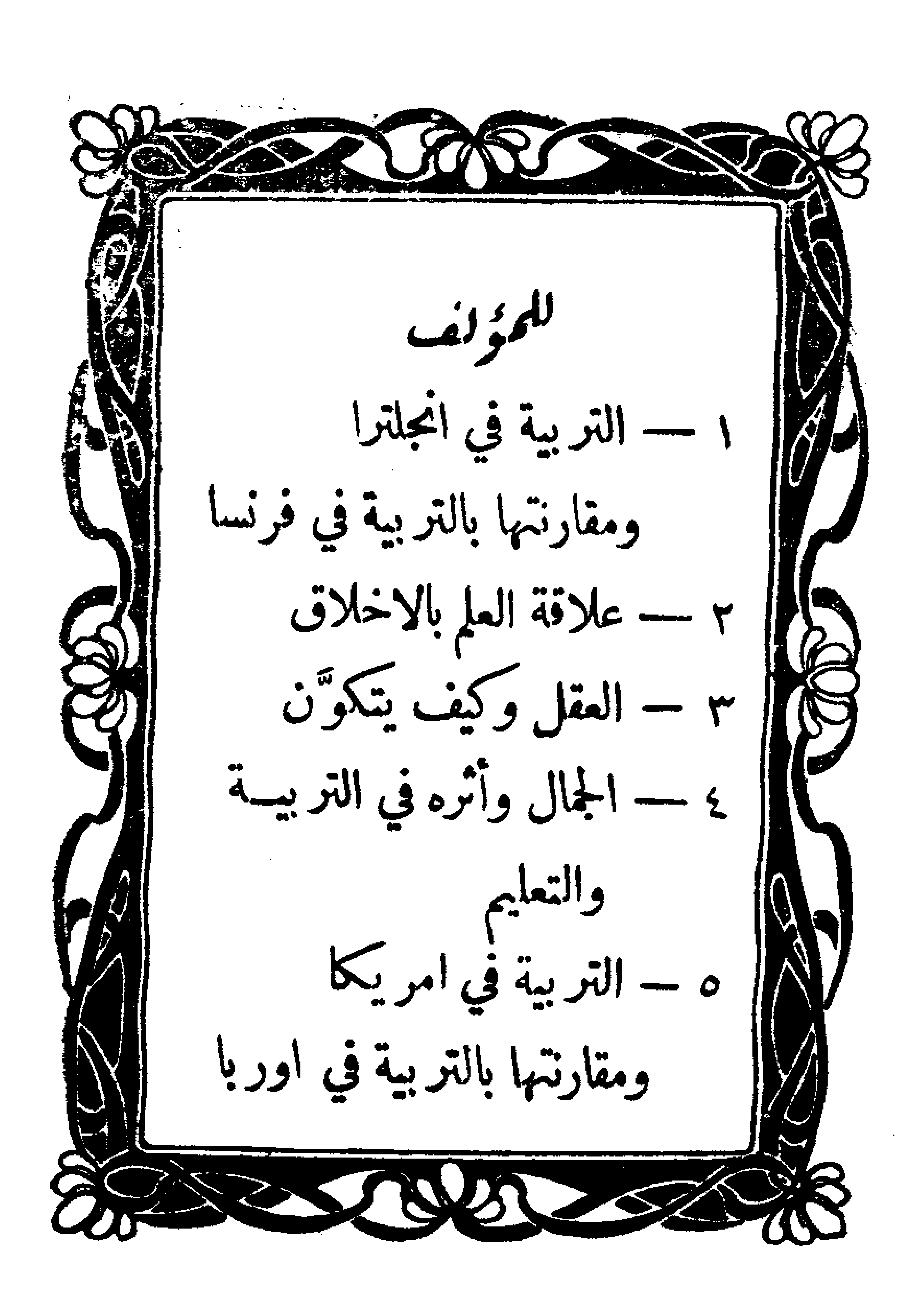
الى السيادة والى وظائف الحكومة . واقترحت ادخال المحاسبة وامساك الدفاتر في المدارس الثانوية اذا سنحت الفرصة لتعديل مناهج التعليم أو توسيعها في هذه المدارس »

وخيراً فعلت وزارة المعارف في اجابة هذه الامنية بادخالها علم امساك الدفاتر ضمن مقرر الدراسة الثانوية فأن دراسة هذا العلم وعلم التاريخ الطبيعي تفتح المجال أمام الراغبين في الالتحاق بمدارس التجارة او الزراعة العليا و بذلك يصبح التفريع شاملا لخمسة اقسام عظيمة

ورجاؤنا الاخير الى وزارة المعارف قبل أن تبت في تغيير المناهج وتنقيحها أن تقتدي بالامم الراقية فتعرض ما ارتآه رجالها على أهل الذكر في بلادها . ففي مصر وزراء سابقون للمعارف ومديرون اداروا المدارس ومعلمون تركوا التعليم — هؤلاء يحسن أن يشتركوا في الامر ليبدوا آراءهم الصالحة فهذه انكلترا استأنست برأي كل عالم حين شاءت تغيير المناهج فاخرجت لجنتها للناس تقريرها في واحد وعشرين مجلداً بعد سنتين كاملتين فى البحث والتنقيب وهذه اللجنة البرلمانية في فرنسا اخرجت تقريرها في ستة مجلدات ضخمة والتقريران يموجان بالاراء الصائبة والانتقادات الصحيحة لكل ذي رأي ولكل منتقد . ثم فيهما التاريخ الصادق لمساويء التعليم وعيوبه مشفوعاً بالعلاج النافع والدواء الناجع

واني في الختام ارجو أن اكون قد اصبت المرمي في نقل هذه الآراء السديدة الجديدة في التربية والتعليم من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية السمحة كما ارجو أن يكون لها من الاثر في نفوس المصريين ما كان لها في نفوس الاوربيين الذين اعترفوا بأنها كشفت لهم الغطاء عن حقائق واسرار في شئون التربية والتعليم غابت عن اذهانهم واستعصت على افهامهم وانهم سيتخذونها مثالا يحتذونه في تهذيب النابتة ونبراساً يستضيئون بنوره في اعداد الاجيال المقبلة للكفاح والنضال في ميدان الحياة العملية الحقة فعسى ان نقتدي بهم ونجري على رسمهم والله ولي التوفيق ؟





للمؤلف

١ — التربية في انجلترا

ومقارنتها بالتربية في فرنسا

٢ — علاقة العلم بالاخلاق

٣ — العقل وكيف يتكوَّن

٤ — الجمال وأثره في التربيـة

والتعليم

٥ — التربية في امريكا

ومقارنتها بالتربية في اوربا

